الجمهورية الجزائرية الدّيمقراطية الشّعبية
People's Democratic Republic of Algeria
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
Ministry of Higher Education and Scientific Research

University of Blida 2 Lounici Ali
Faculty of Humanities and Social

جامـــعة البليـــــدة 2 لونيسي علـــي
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

Amir Khaled Aldjazairi
Department of Humanities

الأمير خالد الجزائري
قسم العلوم الإنسانية

مطبوعة دروس عبر الخط

محاضرات مقياس تاريخ إفريقيا جنوب الصحراء

السنة ثالثة تاريخ عام

أستاذ المقياس: د. بوسليماني عبد الرحمن

السنة الجامعية: 2022/2021

أهداف المقياس:

- **التعريف بمنطقة إفريقيا جنوب الصحراء سياسيا وحضاريا وتاريخيا**
- **إلقاء الضوء على تاريخ القارة السمراء وعلاقاتها مع مختلف القارات وخاصة الأمريكيتين ومنطقة الكاريبي وأوروبا.**

المحاضرة الأولى: توجيهات منهجية حول المقياس (حصة واحدة)

من الملفت للانتباه أننا لو ألقينا نظرة خاطفة على المصادر والمراجع الخاصة بتاريخ إفريقيا جنوب الصحراء في المكتبات، للاحظنا أن هناك نقصا فادحا في المؤلفات التي تعالج مواضيع خاصة بالقارة السمراء، والجدير بالذكر أن الكثير من الوثائق الخاصة بتاريخ إفريقيا لم تحظ بعناية وافية في مجال البحث مما جعل إفريقيا تحتاج إلى مؤرخيها من أجل إنقاذ المصادر، وبالتالي استعمالها في مجال الدراسة إذا كانت لا تريد أن يبقى ماضيها مجهولا أو محتكرا على المؤرخين الأوروبيين ومثقفتهم.

وكان يوجد في المجتمع الإفريقي عبر مراحل الزمن المختلفة وحتى فترة الاستعمار الأوروبي في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، نمطان، الأول قائم على نظام القرابة والثاني قائم نظام الزعامة.

تمتلك جماعة القرابة هذه أرضا مشتركة بهدف خدمة المجموع، وعلى رئيس الجماعة أن يقدم أضحيات لهؤلاء الأسلاف من أجل خير الجماعة ورفاهيتها. أما في حالة تجمع مجموعة من جماعات القرابة هذه من أجل أغراض مشتركة مثل الحرب فإن نظام الزعامة في هذه الحالة يظهر وينبثق، وقد تطور وازدهر نظام الزعامة والقبلية في الجزء الأكبر من إفريقيا الذي يسود فيها عنصر البانتو.

وتتباين المؤسسات السياسية تباينا واضحا في أنحاء القارة الإفريقية، فقد نشأت وتطورت دول مفردة ومركبة خلال فترة طويلة على سواحل شمال إفريقيا وفي وادي النيل، وفي نطاق السافانا. أما في غرب إفريقيا فقد كان هناك تباينا واضحا بين المنظمات السياسية المفككة عند قبائل الأيبو Ibos وممالك اليوربا المركزية التي كان يحكمها الأوبا Oba وبين القبائل الوثنية المبعثرة في النطاق الأوسط. وفي شرق إفريقيا فقد كان هناك عديد من أنماط التنظيم السياسي، فالنيلوتيون لديهم شكل لا مركزي من الكيان السياسي بينما نجد أنه بين مجتمع بانتو البحيرات تطور نظام متقدم تحت تأثير الغزوات الحامية.

وفي جنوب إفريقيا كان النظام السياسي مركزيا جدا، وذلك عن طريق زعيم أكبر يسيطر على عدد من الجماعات المحلية، وشكل هذا النظام قبائل الزولو. وقد كانت التخوم ذات أهمية كبيرة بالنسبة للقبائل الإفريقية قبل مرحلة الاستعمار، إذ أنه بين الجماعات التي تعتمد على الصيد والجمع مثل البوشمن كانت تتجول في منطقة محدودة جدا. وكان تعدي هذه الحدود صعبا. إلا أنه بعد إنشاء الدول الكبيرة في داخل النطاق السوداني أصبح من الممكن للرحالة –مثل ابن بطوطة– أن يتجولوا في مناطق واسعة عبر مثل هذه

الحدود. وقد استطاع مكتشفو إفريقيا في القرن 19م أن يعبروا قارة إفريقيا ولكن عن طريق الإدلاء الوطنيين. وعليه، سنتطرق في هذا المقياس إلى العناصر التالية:

1- الإطار الجغرافي والبشري لبلدان السودان لإفريقيا جنوب الصحراء

2- الإمبراطوريات والممالك الإفريقية القديمة:

3- انتشار الإسلام في إفريقيا جنوب الصحراء

4- الإمبراطوريات والممالك الإسلامية في السودان الغربي

5- الإمبراطوريات والممالك الإسلامية في السودان الأوسط

6- تجارة الرقيق وانعكاساتها على مجتمعات إفريقيا جنوب الصحراء

المحاضرة الثانية: الإطار الجغرافي والبشري لإفريقيا جنوب الصحراء (حصتان)

1 - الإطار الجغرافي:

تطلق كلمة السودان على المنطقة المحصورة بين المحيط الأطلسي غربا والمحيط الهندي والبحر الأحمر شرقا ، والصحراء الكبرى شمالا.

وكان العرب المسلمون هم أول من أطلق كلمة السودان على الشعوب والقبائل التي تقطن هذا الجزء من القارة السمراء التي يمكن تقسيمها إلى ثلاثة أقسام رئيسية هي:

1- السودان الغربي : ويشمل حوض نهر السنغال والمناطق المحيطة به ، غامبيا ، فولتا العليا والنيجر الأوسط (نيجيريا). أما السودان الغربي بمفهومه الواسع حاليا ، فيشمل الدول التالية :

- موريتانيا ، الصحراء الغربية ، مالي ، السنغال ، غمبيا ، غينيا بيساو، غينيا كوناكري، سيراليون ، ليبيريا ، ساحل العاج أو كوت دي فوار كما يحلو للبعض تسميته ، بوركينافاسو ، طوغو، بينين ، نيجيريا ، الكاميرون والغابون .

2- السودان الأوسط : ويشمل حوض بحيرة تشاد والمناطق المحيطة بها في إفريقيا الوسطى. وبحيرة تشاد عبارة عن منخفض طبيعي بفعل انحدار نهري شاري ولوغون القادمين من جمهورية إفريقيا الوسطى المجاورة فضلا عن

انسياب مياه الأمطار إليها من الهضاب المجاورة . وتشكل بحيرة تشاد حاليا نقطة التقاء الحدود التشادية مع النيجر ونيجيريا والكامرون .

3–السودان الشرقي : ويشمل مناطق واد النيل وروافده العليا جنوب بلاد النوبة ، ويعرف عند العرب ببلاد الزنج . وعليه ، يضم ما يعرف بالسودان الشرقي حاليا دارفور ، كردفان ومنطقة سيا المجاورة لدارفور.

2 – الإطار البشري:

يسكن إفريقيا جنوب الصحراء شعوب وقبائل زنجية اختلطت دماؤها عبر التاريخ بدماء الساميين والحاميين الذين وفدوا على المنطقة من الشمال . ومن أشهر القبائل الزنجية الماندي أو الماندينغ ، التكرور ، الولوف الفولاني ، اليوروبا ، الهوسة ، الموسي ، الأشانتي، اليوروبا، الكرو اللوبي ، المالينكي السوسو ، السينوفو ، الباولي البيتي ، دان ، آكان ، مندي، السارا، برنو ووداي.

ويعتبر غرب إفريقيا خزانا للجنس الزنجي الأصيل الذي حافظ على أصله خاصة في المنطقة المحصورة بين مصب نهر السنغال غربا وحدود نيجيريا الشرقية شرقا والصحراء الكبرى شمالا وخليج غينيا جنوبا .

فإذا انتقلنا إلى السودان الغربي ، نلاحظ أن الولوف يتمركزون جنوب نهر السنغال ولغتهم هي لغة وطنية في السنغال إذ يتكلمها 80 في المائة من مجموع سكان السنغال . وفي منطقة السنغال وغمبيا توجد مجموعة السرير وهذا بالقرب من العاصمة داكار . أما تكرور ، فيتمركزون في حوض نهر السنغال الأوسط ، وساهم التكرور في نشر الإسلام بين أفراد الولوف والسوننك.

أما في مالي ، نجد البمبارا الذين يشكلون ثلث سكان البلاد ، بالإضافة إلى المالنكي والسينوفو، الطوارق والسونغي. والمالنكي ينحدرون من أصل ماندي أو ماندنغ (نسبة إلى جبال الكاندنغ في مالي) . كما يتمركز فرع منهم في شمال ساحل العاج حاليا وتنحدر منه قبيلة ديولا بساحل العاج . والديولا اشتهروا بحرفة التجارة . أما السينوفو ، فهم شعب يتمركز بمالي وساحل العاج خاصة في المنطقة المعروفة بكرهوغو . والسينوفو من أقدم القبائل التي اشتهرت بالصناعة التقليدية لاسيما النقش على الخشب وصناعة الحلي.

أما في ما يعرف اليوم بنيجيريا ، فنجد قبائل الهوسة والفولاني في شمال نيجيريا وأكثرهم اعتنق الإسلام بفضل الشيخ عثمان دا فوديو والشيخ المغيلي التلمساني . كما تمثل قبائل الهوسا أكثر من نصف سكان النيجر ، والفولاني نجدهم أيضا في النيجر التي تقطنها قبائل الكوناري والتيدا. كما تتمركز بنيجيريا قبائل

الإيبو في الجنوب الشرقي وجلهم يدينون بالدين المسيحي بفعل الإرساليات التبشيرية المسيحية. أما اليوروبا ، فنجدهم في الجنوب الغربي من نيجيريا وبينين . أما بينين ، فتتواجد بها قبائل إيزو ، سومبا و الدندي. أما في غينيا ، فنجد المالنكي ، السوسو، الفولاني و كيسي. وإذا انتقلنا إلى البوركينا فاسو، فنلاحظ تمركز قبائل موسي ، الفولاني ، الماندي ، البوبو ، اللوبي ،السينوفو، الغورمانشي والطوارق وبالنسبة للطوغو ، فتتواجد بها قبائل إبويه الذين يشكلون 45 في المائة من عدد السكان اليوم ، إضافة إلى غورمانستثيه وتام. أما غانا، فنجد بها قبائل الأشنتي ، الهوسا نزيما ، الموسي و آكان. وقبائل آكان التي هي أصلا من غانا هاجرت مجموعة منها إلى ما يعرف اليوم بساحل العاج نذكر منها أبرون في بوندوكو وقبيلتي آنيي وباولي.

والجدير بالذكر أن قبيلة باولي ينتمي إليها زعيم الحركة الوطنية بساحل العاج وأول رئيس للبلاد غداة الاستقلال ، إذ يتعلق الأمر بالرئيس فيليكس هوفوات بوانيي .

أما في ليبيريا ، فنجد قبائل كيسي ، فاي ، كبل ، غولا، غيو وكرو. ومن بين قبائل كرو التي هاجرت إلى ساحل العاج نذكر ماغوي أو بيتي التي تتمركز في المنطقة الواقعة بين دالوا وسوبري ، والتي اشتهرت بأقنعتها عند ممارسة الطقوس الدينية . وفي ما يخص سيراليون ، نجد قبائل تمني في شمال البلاد والماندي في الجنوب ، إضافة إلى قبائل كونو أو الكونفو في شرق البلاد ، ليمبا ، كورانكو وبولوم.

أما بالسودان الأوسط والشرقي ، فتتواجد بها قبائل مثل السارا التي تتمركز جنوب تشاد وتدين بالمسيحية ، إضافة إلى قبائل مايوكيبي ، كانم – بورنو ، زغاوة على الحدود التشادية السودانية ، وداي ، تيبو ومساليت التي تدين بالإسلام . كما توافد الكثير من العرب إلى السودان الأوسط والشرقي منذ القرن 6 م.

المحاضرة الثالثة: الإمبراطوريات والممالك الإفريقية القديمة. (حصتان)

1- إمبراطورية المونوموتابا:

إن معرفتنا لأصول هذه الإمبراطورية التي اشتهرت بإنتاج الذهب وصناعة الحلي الذهبية يعود أساسا إلى علم الآثار وبفضل الكاربون 14 الذي حلل الكثير من المواد المستعملة من قبل سكان هذه الإمبراطورية في صنع التحف الفنية النادرة . وعند وصول البرتغاليين في نهاية القرن الخامس عشر الميلادي إلى الجزء الجنوبي الشرقي من القارة السمراء ، كانت هذه الإمبراطورية قد دخلت في مرحلة الانحطاط . وكانت عاصمتها تسمى زمبابوي أين تم اكتشاف الكثير من الآثار والتحف الفنية ، مما يدل على قدم هذه الإمبراطورية .

والجدير بالذكر أن أنه تم اكتشاف ما يعرف اليوم بآثار زمبابوي سنة 1867 م . ومن أهم هذه الآثار المعبد المشيد من الحجارة التي يبلغ سمكها ما بين 4 و 5 أمتار، إضافة إلى القلعة التي يبلغ طولها 10 أمتار .

وبفضل الحفريات، تحصلنا على معلومات قيمة حول مظاهر الحضارة في هذه الإمبراطورية نذكر منها الأواني الفخارية الصينية والأواني المصنوعة من الزجاج التي
تعود إلى الفترة الممتدة من القرن 6 م و القرن 15 م .

وقد ترك العرب كتابات أشارت إلى إمبراطورية مونوموتابا وحضارتها لاسيما المسعودي صاحب كتاب مروج الذهب ومعادن الجوهر الذي زار شرق إفريقيا عام 912 م وأشار إلى مناجم الذهب في زمبابوي وميناء سوفالا الذي كان يتم عن طريقه تصدير الذهب .

ويبدوا أن قبيلة الشونا كانت النواة الأولى لتأسيس هذه الإمبراطورية . والشونا الذين هم فرع من قبائل البانتو ، هاجروا من الكونغو بزعامة ملكهم موتوتا واستقروا في ما يعرف اليوم بزمبابوي . كما تمكنوا من السيطرة على مساحات شاسعة من المنطقة الممتدة من الزمبيزي إلى نهر ليمبوبو **Limpopo** إضافة إلى مناطق تمتد من صحراء كالهاري بنامبيا اليوم إلى المحيط الهندي. كما اشتهرت هذه الإمبراطورية بإنتاج الذهب ، العاج والنحاس .

2- مملكة الكونغو :

يعود الفضل إلى البرتغاليين في معرفتنا لهذه المملكة أي مملكة الكونغو عندما تمكن البرتغاليون سنة 1482 م من اكتشاف منبع نهر الزائير أو نهر الكونغو من قبل ديغو كاو. كما أصبح يعرف فيما بعد . واتخذت المملكة تسمية "الكونغو" نسبة إلى هذا النهر .وكان الملك يلقب ب "نغولا" **Ngola** ، وهذا ما يفسر لنا إطلاق البرتغاليين تسمية أنغولا على ما يعرف اليوم بجمهورية أنغولا لأن هذه الأخيرة كانت جزء من مملكة الكونغو .

واتخذ ملك الكونغو مبانزا كونغو **Mpanza Congo**عاصمة له (تعرف باسم سان سلفادور) على بعد 100 كلم جنوب الكونغو و200 كلم عن المحيط الأطلنطي، كانت المملكة تظم 6 من فظات وكل محافظة على رأسها حاكم يجمع الضرائب التي كانت عادة عبارة عن مواشي ومنتجات زراعية وتذكر المصادر البرتغالية تمكن سكان المملكة من استعمال النحاس والحديد والخشب، الأمر الذي يفسر لنا تمكنهم من التفنن في صنع التماثيل تتسم بأسلوبها الغربي والذي أبهر كل الفنانين على مستوى المعمورة من ناحية، ومن ناحية أخرى بواسطته يمكن حل الكثير من الألغاز التي تختبئ وراء كل عمل فني، وبالتالي التعرف على تاريخ هذا الجزء من إفريقيا.

والجدير بالذكر أن مملكة الكونغو كانت تظم محافظات على رأسها مسؤولين يعينهم الملك.

3 – مملكة بوغندا :

تقع هذه المملكة جنوب غرب أوغندا حاليا في شرق إفريقيا . وكانت لغتها تسمى لوغندا، وهي من لغات البانتو ، ويسمى الفرد الذي ينتمي إلى هذه المملكة موغندا.

وتجدر الإشارة إلى أن هذه المملكة تأثرت بالثقافة السواحيلية على غرار كل شعوب شرق إفريقيا . والسواحلية هي اليوم اللغة الرسمية في كل دول شرق إفريقيا ، وهي مزيج من لهجة البانتو واللغة العربية . ولهجات البانتو هي أسرة لغوية كبيرة واحدة تتشابه جميعا في مفرداتها وقواعدها . كما تبدو أنها مشتقة من لغة واحدة سابقة يطلق عليها " السابقة للبانتو **Proto – Bantou** وكلمة البانتو ذاتها معناها الناس . فكلمة **Ntu** تعني رجلا وكلمة **ba** تدل على الجمع ، لذا تستخدم أحيانا للدلالة على الشعب أو الجماعة.

ويرى بعض المختصين أن هذه الأسرة اللغوية الضخمة ، تضم أسرا فرعية تنتشر عموما في شرق إفريقيا وأشهر لغاتها السواحلية ، كما تتواجد في جنوب غرب إفريقيا وأشهر لغاتها هي لغة لينجالا ، وهي اللغة الرئيسية في الكونغو الديمقراطية (زائير سابقا) حيث يتكلمها الملايين من السكان . وتمتد البانتو إلى جنوب القارة وأشهر لغاتها ناغوتي ، و من لغات البانتو أيضا لغات الباغندا والباتورو في أوغندا.

وغلب على اقتصاد مملكة بوغندا الطابع الزراعي ، كما عرف عن هذه المملكة تطورها السياسي والاجتماعي بحيث شهدت نظاما سياسيا متقدما من خلال اعتماد نظام ملكي مستقر عرف باسم نظام كاباكا مع وجود هيئة استشارية تدعى لوكيكو **lukiko** تشبه البرلمان حاليا ، إضافة إلى وجود وزيرا أولا يعرف ب كاتيكورو . وكانت مملكة بوغندا تظم محافظات على رأس كل محافظة باتونغولي **Batongolé** وباكونغو **Bakongo** اللذين هما بمثابة والي ورئيس دائرة بالمصطلح المعاصر.

والجدير بالذكر أن هذه المملكة لعبت دورا بارزا في تاريخ أوغندا الحديث والمعاصر من خلال تزعم ملكها موتيسا الثاني الحركة الوطنية في أوغندا إلى غاية استرجاع الاستقلال.

ملاحظة: إن تبوأ مملكة بوغندا مركز الزعامة في أوغندا يعود أساسا إلى كونها أكبر قبيلة في البلاد من جهة ، وقوة اقتصادياتها من جهة أخرى . كما أن البلاد سميت أوغندا نسبة إلى هذه المملكة غداة الاستقلال.

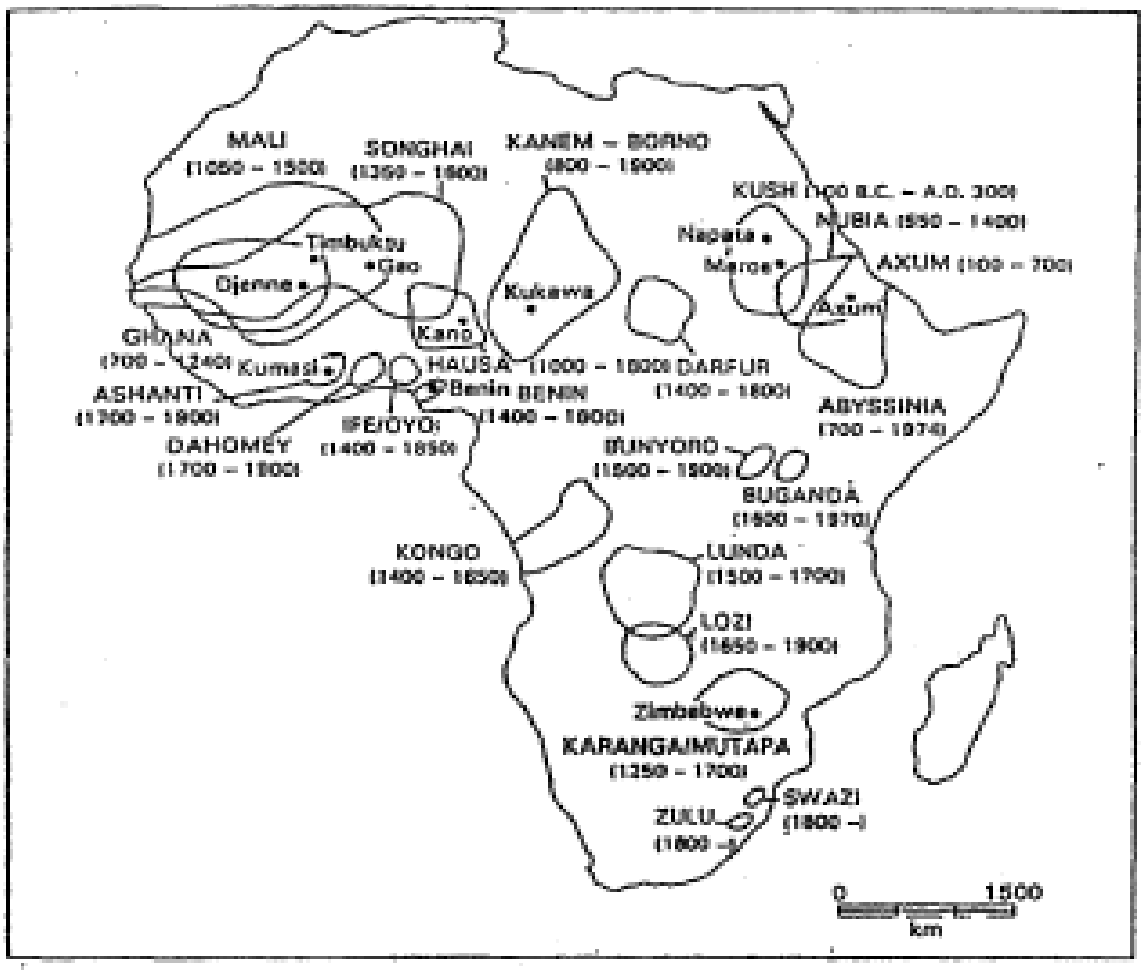

شكل (١) أهم الإمبراطوريات والدول الأفريقية الكبيرة القديمة وفترة وجودها

Major African states and empires. The map shows the names, locations, and approximate dates of existence for the most important precolonial states.

المحاضرة الرابعة: انتشار الإسلام في إفريقيا جنوب الصحراء الكبرى (ثلاث حصص)

لما كانت أسلمة شمال أفريقيا هي نتيجة الفتح العربي الكبير، فإنه كثيراً ما يُعتقد أن نشر هذا الدين في أفريقيا المدارية قد تمّ بالطريقة نفسها، اي أن السكان المحليين، وقد غزاهم العرب (أو البربر)، أُرغموا بعد ذلك على اعتناق الإسلام. وكثيراً ما يُذكر غزو المرابطين لغانا على أنه المثال الأكثر تعبيراً لهذا الأسلوب عن نشر الإسلام، ولكن بعض الدراسات الحديثة أوضحت –كما سنرى فيما بعد– أن هذا التفسير لا يؤيده أي دليل. فالواقع أن الدور الذي لعبه فتح هذه البلاد على يد غزاة مسلمين قادمين من الخارج دور لا يستحق الذكر، اللهم إلّا في السودان الشرقي حيث كان للاستيطان العربي الواسع النطاق دور حاسم في نشر الإسلام. ولكن حتى في هذه الحالة لم يتحول السكان المحليون إلى الإسلام إلا بعد ذلك بوقت طويل. وكان غزو المجتمعات الأفريقية من قِبَل الدول المحلية التي اعتنقت الإسلام عاملاً مهماً في تشاد وجنوب أثيوبيا، على الرغم من أن التوسع الأخير لأمبراطورية أمهرة المسيحية في القرن التاسع عشر الميلادي كان له تأثير في انتشار الإسلام أكثر عمقاً وأكثر استمراراً من تأثير الأعمال العسكرية التى جرت في القرون السابقة.

1- السودان الغربي والأوسط:

وصل الإسلام إلى غرب إفريقيا عبر الجزائر والمغرب الأقصى . وكانت الاتصالات الأولى أيام عقبة بن نافع الفهري الذي توسع جنوب المغرب الأقصى ، وأسلم على يديه الصنهاجيون البرابرة . أما في عهد موسى بن نصير ، فقد انتشر السلام وقرب إليه قبائل البربر. كما نشر الإسلام في أوساط اللمتونيين الملثمين في المنطقة كلها.

ولعبت قبائل الملثمين الدور الكبير في التوغل جنوبا والدخول في صراعات مع مملكة غانا لكنهم فشلوا في إخضاع أودغشت عاصمة هه المملكة في القرن الحادي عشرميلادي. وعندما قامت دولة المرابطين في القرن 11م ، حمل الملثمون على عاتقهم مهمة نشر الإسلام في مختلف أقاليم السودان الغربي . وقد تزعم حركة نشر الإسلام في السودان الغربي الأمير يحي بن ابراهيم القدالي وعبد الله بن ياسين اللذين نشرا الإسلام في هذا الجزء من القارة السمراء.

وبعد المرابطين ظهر الموحدون كورثة لهم في مطلع القرن 12 م ، وعملوا على نشر الدين الإسلامي في السودان الغربي . وعليه، انتشر الإسلام بين سكان معظم الممالك والإمارات الزنجية مثل غانا ومالي . ففي الفترة الممتدة من القرن 11 م إلى القرن 17 م ، انتشر الإسلام في صنغاي ،بينين ، نيجيريا ، صوصو ، كوكو والتكرور. وكان للقوافل التجارية دور هام في انتشار الإسلام والازدهارالإقتصادي في غرب إفريقيا

خاصة تلك التي تخرج من جنوب الجزائر إلى بلاد الهوسة شمال نيجيريا ، ومن جنوب مراكش إلى مصب نهر السنغال ومنحنى نهر النيجر .

وابتداء من سنة 1758 م تكفلت الطرق الصوفية بنشر الإسلام وإيصاله إلى الأدغال ، ومن أهم الطرق الصوفية نذكر ما يلي :

أ - القادرية :

نشأت بالعراق في القرن الثاني عشرالميلادي ووصلت إلى إفريقيا في أواخر القرن الخامس عشر، و تولى نشر مبادئها بالديار الجزائرية انطلاقا من مدينة بجاية، قطب الصوفية سيدي شعيب بومدين و استقرت لمدة في زاوية كنتا بالجنوب الغربي لصحرائنا، ثم انتقلت إلى موريتانيا و منها إلى قبائل الولوف بالسينغال.

وللقادرية تأثير واضح في باقي الطرق الموجودة بالقارة السمراء و التي نشأت كلها بعدها، كالفاضلية و المريدية و يمثل آمادو أحمدو سلطان المسينة و عثمان دا فوديو مؤسس دولة نيجيريا الحالية، أشهر زعماء الجهاد الإفريقي المنتمين إلى القادرية وهي اليوم منتشرة في كل من أدرار ، تيميمون ، موريتانيا ، السينغال ، النيجر ، مالي ، نيجيريا ، الكامرون ، الطوغو و غينيا ومناطق هامة من إفريقيا الشرقية.

ومن أهم دعاة القادرية وشيوخها : الشيخ عثمان دا فوديو وابنه محمد بيلو وأخوه عبد الله ، الشيخ أحمد الكنتي والشيخ أحمد البكاي .

ب - الطريقة التيجانية

أسسها أبو العباس أحمد بن محمد المختار التيجاني، المولود سنة 1737 بعين ماضي جنوب غرب مدينة الأغواط بالجزائر. و قام سيدي أحمد التيجاني المتوفى بمدينة فاس سنة1815 بإدخال العديد من التعديلات على تعاليمها و طقوسها و أوصى بأن تبقى المناصب السامية للطريقة محصورة في أسرته أو أسرة "مقدمه" سيدي علي بن الحاج عيسى، مما أثار فيما بعد، البلبلة و الخلافات في صفوف مريديها. و تتفرع الطريقة إلى ثلاث زوايا رئيسية: زاوية عين ماضي و زاوية تيماسين و زاوية فاس.

وتبدأ الطريقة انطلاقتها الأولى على أيدي محمد علي حفيظ ولد مختار من الترارزة بموريتانيا سنة1873 بدء بقبيلة إد أو علي التي ينتمي إليها و تغلغل في باقي الأقطار الإفريقية تحت راية المجاهد الكبير الحاج عمر تال و ابنه و خلفه أحمدو شيخو.

وفي سنة1873 يتلقى الحاج مليك سي لأول مرة ورد الطريقة فيتولى زعامتها إلى أن يستقر به الأمر سنة 1902 بمدينة تيفاوا بالسنغال فيفتح بها مدرسة لتعليم القرآن تتحول تدريجيا إلى جامعة شعبية تساهم بكل جدارة في تعميم التعليم الديني الصحيح إلى الطلبة الوافدين عليها من كل مكان.

ويرجع ظهور أول مستقر للإسلام في السودان الأوسط إلى القرن الخامس الهجرى / الحادى عشر الميلادي مع تحوّل مَلل كانم إلى الإسلام.

ولا شك أن الأنشطة الإسلامية في جنوب الصحراء زادت قوة بعد تدخل المرابطين. ويعزى إسلام حماي ملك كانم أحياناً إلى تأثير المرابطين، ولكن ذلك يبدو غير محتمل. فقد تحوّل ملوك سودانيون آخرون إلى الإسلام، كما رأينا، قبل مجيء المرابطين. ويبدو أنه في القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي بلغت دينامية التطور، الذي بدأ من قبل في دول سودانية كثيرة، مرحلة كان فيها الانضمام إلى الإسلام يتيح بعض المزايا للطبقات الحاكمة ولمجموعة متزايدة العدد من التجار المحليين. وقد تحددت هذه المزايا بمزيد من الوضوح في القرون التالية، خلال الفترة التي شهدت ازدهار الأمبراطوريات السودانية الكبيرة: أمبراطورية مالي وصُنغاى.

ولقد كانت اعتبارات المصلحة العامة التي أدّت إلى انتشار الإسلام بدرجة ما في الأمبراطوريات غير الإسلامية اعتبارات داخلية وخارجية. فكانت الدوافع الخارجية ذات طابع تجاري، ذلك أن وظيفة هذه الدول، من الناحية الاقتصادية، كانت تتمثل في مراقبة تجارة السودان مع شمال أفريقيا واستغلالها. وكان للطبقة الحاكمة مصلحة حقيقية في أن تظهر بصورة إسلامية – بتنظيم بلاطها وبأداء الحج – لكي تقيم علاقات طيبة مع عملائها وشركائها في شمال أفريقيا وتنميتها.

وعلى الصعيد الداخلي كانت إحدى المشكلات الكبرى التي تواجه الملوك هي ضمان ولاء الأقوام والعشائر المشركة التي أخضعوها لسلطانهم والتي كانت عباداتها المتوارثة عن الجدود وأعرافها تختلف كلية عن تلك التي تدين بها الأسرة الحاكمة. فبدا أن اعتناق الإسلام، ذلك الدين ذي الطابع الشامل، يمكن أن يقدّم حلاً مناسباً؛ فبُذلت جهود لغرس هذا الدين، على الأقل بين زعماء العشائر والأعراق الأخرى، ولإقامة رابطة دينية جديدة تجمع بينها. كما أن اتساع أمبراطورياتهم زاد من صعوبة إدارة أقاليمهم إدارة فعّالة، وبذلك أصبح من الضروري الاستعانة بالكتبة المسلمين وغيرهم من الأشخاص المتعلمين للعناية بالمراسلات وتصريف شؤون الدولة. وقد كان لرجال الدين المسلمين تأثير كبير في البلاطات الملكية، فمهّدوا بذلك الطريق لاعتناق الملك وأسرته الإسلام فيما بعد.

وخلال القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي زاد وضع الإسلام تدعماً بفضل سياسة أسكيا محمد حاكم صنغاي، وبفضل رحيل الحكام من كانم إلى أمبراطورية بورنو، وطول حكم إدريس ألاومه. ومن المعتقد أن تدخّل هذا الحاكم في مندارا لصالح أحد محميه مهّد الطريق لإدخال الإسلام في هذا البلد، وربما اعتنق التوبو الإسلام في ذلك الوقت. وأصبحت باغرمي، الحديثة النشأة، دولة إسلامية في القرن نفسه. وبعد فترة من الوقت، استطاع عبد الكريم، باستلهام مثال باغرمي، أن يحقق التحام واداي في دولة إسلامية، على الأقل اسماً.

وعلى الرغم من ذلك كله كان الإسلام في القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي مترسخاً بصفة عامة على امتداد الحزام السوداني، من الأطلسي إلى بحيرة تشاد وفيما وراءها. فكانت الطبقات الحاكمة في جميع الدول الكبرى، وفي معظم الدول الأصغر، مسلمة، على الأقل اسماً. وفي جميع المدن وكثير من القرى كانت تعيش مجتمعات أفريقية إسلامية تنتمي في أصلها إلى أعراق مختلفة، وكان بعضهم مسلمين بالإسم فقط، ولكن كان كثير منهم رجال علم ورعين متفتحين وعلى اتصال بالعالم الأوسع في شمال الصحراء الكبرى. وعلى الرغم من أن هذا الدين العالمي لم يصل إلى أغلبية الفلاحين إلا قليلاً، فإنه أصبح، بعد قرون عدة من الوجود، ظاهرة مألوفة وعنصراً من عناصر الصورة الثقافية في غرب أفريقيا.

نتائج انتشار الإسلام في إفريقيا جنوب الصحراء:

من أهم النتائج: قيام مدن وعواصم وممالك إسلامية هامة الثقافة والتجارة والحضارة الإسلامية بفضل القوافل التجارية الصحراوية . ومن بين المدن والعواصم الإسلامية الهامة نذكر ما يلي: أوداغوشت، جيني، تمبوكتو، أزواد، ولاتة، تادمكة (مكة الجديدة)، غاو، تيكدة، زاريا، كانو، سوكوتو.

المناطق التي دخلت في الإسلام نحو عام 500 هـ/1100م

المناطق التي دخلت في الإسلام نحو عام 900 هـ/1500م

المحاضرة الخامسة : الإمبراطوريات والممالك الإسلامية في غرب أفريقيا : (حصتان)

1 – مملكة غانا :

كانت هذه المملكة تظم ما يعرف اليوم بجنوب موريتانيا وشرقي السنغال وجزء من مالي وربما غينيا. ويذكر المؤرخون أن تاريخ تأسيسها يعود إلى سنة 300 م . واسم غانا هو لقبملوكها ، ثم أطلق على كل المملكة . ويكمن سر توسعها إلى تمكن شعبها من استعمال الحديد كسلاح، قبل غيره من شعوب إفريقيا الغربية أما ازدهارها الاقتصادي، فقد قام على التجارة وعلى موقعها الإستراتيجي بين مناجم الذهب في(بامبوك)و (بوري) إلى الجنوب و مناجم الملح في الشمال,

وبواسطة التجارة و استغلال مناجم الذهب بلغت مملكة غانا حدا ذا قيمة هامة من حيث الازدهار، فكان لها جيش دائم يبلغ تعداد أفراده أربعة آلاف، و في أوقات الشدة ، كان ملكها يستطيع أن يجند مائتي ألف محارب دون صعوبة ، و في إمكانه أن يسلح أربعين ألفا من بينهم بالقسي و الرماح.

أما عاصمتها (كمبي صالح) فقد كانت(مدينة واسعة الأرجاء_ على حد تعبير البكري_ذات أسواق عديدة، تزينها أشجار النخيل الغزيرة،وأشجار الحناء تكاد تبلغ الزيتون في الطول، مليئة بالمنازل الجميلة و الأبنية القوية الراسخة) .

وبعد أبحاث أثرية استمرت طيلة نصف قرن تقريبا، استطاع العالمان توماسي وموني سنة 1949 أن يحددا موقع كمبي صالح على بعد حوالي 205 كم إلى الشمال من مدينة باماكو الحالية، و قد قدرا عدد سكانها بثلاثين ألف نسمة، أما قصر الملك فكان يقع في قلعة تحيط بها غابة كثيفة خارج المدينة، ويعيش معه فيها كبار رجال الدولة ويقصد تلك القلعة في كل صباح الموظفون و المضيفون الذين كان جلهم من المسلمين، وكان لهم مسجد خاص قرب الملكي، واثنا عشر مسجدا بالمدينة، وكانوا يتولون أعمال المحاسبة و تسيير الدواوين، كما ذكر ذلك البكري . ومن بين العوامل التي ساعدت هذه المملكة على الاستقرار نذكر ما يلي :

1 – اعتمادها على جيش قوي
2 – تنظيم مدا خيل الخزينة .
3 – قوة اقتصادها .
4 – العدل بين الرعية .

–سقوط مملكة غانا: بعد هجوم المرابطين على مملكة غانا عام 1054 م واستيلائهم على مدينة أودغشت ثاني مدينة هامة عام 1055 م بمثابة بداية ضعف المملكة . وفي سنة 1067 م ، تمكن المرابطون من الاستيلاء على كمبي صالح عاصمة مملكة غانا . وقد نتج عن هذه السيطرة انتشار الإسلام في مملكة غانا .

والجدير بالذكر أن المرابطين لم يمكثوا طويلا في كمبي صالح بل انسحبوا تاركين الحكم بيد الملوك القدماء . أما السبب الثاني الذي أدى إلى سقوط هذه المملكة هو استقلال الأقاليم المجاورة لها . ثم سقطت مدينة كمبي صالح العاصمة في أيدي حكام قبائل صوصو سنة 1240 م .

2 - إمبراطورية مالي (1225 – 1488) :

شكلها شعب الماندنغ الذي دخل إلى الإسلام في وقت مبكر من القرن الحادي عشرالميلادي . وشملت جمهورية مالي الحالية ، السينغال الشرقي وشمال غينيا وشمال كل من بوركينا فاسو والبينين والجنوب الأقصى من جمهورية موريتانيا. وكان شعب الماندنغو في البداية يدين بالولاء لمملكة غانا ، وعندما انهارت مملكة غانا أمام هجمات الصوصو الوثنيين ، تصدى شعب الماندنغو بقيادة سوندياتا كيتا للصوصو وهزمهم في معركة كيريتا حوالي سنة 1235م . وابتداء من هذا التاريخ بدأ انتشار سلطة مالي على غرب افريقيا . ومن أشهر ملوك مالي سندياتا ، ومنسي علي ومنسي موسى ومنسي سليمان . وكانت إمبراطورية مالي أغنى مركز تجاري في السودان الغربي . وبلغت هذه الدولة ذروتها في القوة على عهد السلطان منسي موسى (1307 – 1332) الذي سيطر على ولاتة وتمبكتو وغاو . ونظرا لأهمية هذه المملكة ، أخذت القوافل التجارية تفد عليها من كل بلدان شمال إفريقيا ، كما كانت لها علاقات دبلوماسية مع فاس ومراكش وربطت صلات تجارية مع بعض المدن الإيطالية .

وفي 1324 حج منسى موسى ومر في طريقه إلى الحج بالقاهرة ، فانخفضت قيمة الذهب بأسواقها 6 بالمائة وذلك لكثرة ما انفق في شراء الكتب والهدايا والجواري ، أما في مكة فقد انفق عشرين ألف قطعة من الذهب . وعند عودته من الحج اصطحب معه الشاعر المهندس أبا إسحاق إبراهيم الساحلي الذي أدخل الطراز الأندلسي إلى مالي ببنائه المساجد في تمبكتو ونياني . ويتفق المؤرخون بأن سكان مالي من أكثر زنوج إفريقيا رقيا وأمهرهم في الصناعات التقليدية وأشهرهم تمسكا بالإسلام . وبلغت مدينتا جني وتمبوكتو شأنا عظيما في التطور الفكري والثقافي والعمراني وكلاهما تم إنشاؤهما في القرن 11 م ، الأولى على أيدي برابرة صنهاجة والثانية على أيدي برابرة الطوارق . وقسم سلاطين مالي دولتهم إلى أقاليم ومقاطعات ، وشجعوا زراعة القطن ونظموا جباية الضرائب على الصادرات والواردات مما سمح للدولة أن تؤلف جيشا قويا توسع إلى الشرق حتى وصل إلى بحيرة تشاد وتوسع غربا حتى وصل إلى المحيط الأطلسي.

–سقوط المملكة:

يرجع شارل مونتاي أسباب ضعف إمبراطورية مالي وسقوطها إلى العوامل التالية:

1 – استيلاء الطوارق على تمبكتو وجني (وهما من أهم مراكز التجارة في البلاد) .

2 – خروج بعض المناجم الهامة من يد الحكومة مثل مناجم النحاس في تكدة .

3 – النزاع على العرش .

4 – هجوم قبائل الموسي الوثنية من الجنوب وقبائل الولوف من الغرب وقبائل سنغاي من الشرق والطوارق من الشمال .

كما ذكر ابن بطوطة مسألة تفشي سوء الأخلاق بين الموظفين الكبار وخاصة القضاة . وأصبحت في منتصف القرن 17 م مجرد مملكة صغيرة وورثتها مملكة سنغاي بأرضها ونظمها المدنية والعسكرية وخلفتها في أداء دورها الحضاري .

3 - مملكة سنغاي:

تأسست دولة سنغاي في القرن السابع الميلادي، واستمرت تقوى باستمرار وتتوسع، حتى القرن السادس عشر، حيث دخلت في طور الضعف نتيجة لانهماك الأمراء المتأخرين في المنازعات العائلية التي أعاقتهم عن الاهتمام بشؤون الدولة وخدمة البلاد، كما كلفت الخزينة مصاريف باهظة، أضعفتها ، وقد رافق ذلك انقسام في الآراء والاتجاهات بين السنغائين، نتجت مباشرة عن ذلك النزاع المستمر على الحكم بين الأساقي، فكان لكل واحد منهم أنصار وأتباع بين أهل سنغاي، فنشأت عوامل التصدع في الرأي، وكان ذلك من أبرز مظاهر الضعف الذي استمر ينخر في جسم المملكة و يسير بها نحو الهاوية، حتى نهاية القرن السادس عشر، حيث انتهى وجودها بحملة المغاربة على البلاد سنة 1591,

وقد أصبحت مدينة غاو هي العاصمة منذ القرن الحادي عشر فقط (1009 للميلاد) أما قبل ذلك فقد كانت العاصمة هي مدينة كوكيا على نهر النيجر الأدنى بين غاو الحالية وتيلا بيري ، وهي لا تبعد عن غاو سوى بحوالي مائة وخمسين كم جنوبا . وقد حكمت سنغاي في البداية عائلة ضياء ، وهي عائلة يعتقد أنها قدمت من منطقة طرابلس الحالية وفيها كانت تتزعم قبائل لمته وهوارة ، ثم انتقلت هذه القبائل وسكنت جهات النيجر في زمن قديم ، ومنها انحدرت عائلة ضياء هذه وهي التي حكمت سنغاي حتى سنة 1335م .

والجدير بالذكر أن الحكم انتقل بعدها إلى عائلة سني التي حكمت بين 1335 م و1493 م . وعائلة سني هي فرع من عائلة ضياء الأمازيغية الطرابلسية ، السابقة الذكر ، وقد تولت الحكم عندما استقل بسنغاي علي كلن سنة 1353 م وفصلها عن مالي ، إذ أنى امبراطورية مالي في ايام توسعها كان سلطانها قد شمل بلاد سنغاي منذ سنة 1325 م ، فلما كانت سنة 1335 م استقل علي كلن هذا بسنغاي عن مالي تحت اسم سني علي ، وكان قبل ذلك يعيش في قصر إمبراطور مالي ، حيث أنه كان قد أخذ كرهينة. وعليه ، كان ذلك دليلا ماديا على خضوع أسرة ضياء لسلطان مالي على عاداتهم في ذلك الوقت .

واتسعت إمبراطورية سنغاي أكثر خلال عهد الأسقيا الحاج محمد الكبير الذي أنهى حكم آل سني بثورة قام بها سني علي مباشرة سنة 1493 م .

ويعتبر تسلم الأسقيا محمد عرش سنغاي بداية عهد انتظام المملكة وبداية حكم التكروريين في البلاد ، ولذا فقد اقترن ذلك الحادث بفرح عم غالبية سكان بلاد سنغاي .

لقد حرص ملوك سنغاي على تمكين شعبهم من الإسلام والثقافة الإسلامية وأصبحت البلاد في عهدهم ذات ارتباطات وثيقة بالعالم الإسلامي وخاصة بلدان المغرب ومصر والحجاز , وفي سنة 1591 م غزاها سلطان المغرب أحمد المنصور الذهبي .

4 - مملكة الكانم بورنو :

قامت مملكة الكانم بورنو في المنطقة المحيطية ببحيرة تشاد ونهر الكانوري والتي تشملها اليوم جمهورية تشاد وقسمها من شمال نيجيريا، ، وقد شكلها شعب(بولالا) قبل مجيء الإسلام، وقد ابتدأ وصول الإسلام إلى هذه المنطقة في وقت مبكر، وفي القرن العاشر الميلادي كانت هذه المملكة قد أسلمت كليا,

ينسب ملوك بورنو أنفسهم إلى سيف بن ذي يزن اليمني، وتختلط بسكانها قبائل عربية من أهمها قبائل بني سليمان والشوا الذين نزحوا في وقت لاحق إلى هذه البلاد،كما أن قبائل الزغاوي الذين يرجع الرواة إليهم أصل تأسيس النواة الأولى لإمارة الكانم قبل اتحادها مع إمارة البورنو ربما يكونون قد هاجروا من منطقة فزان في الجمهورية الليبية حاليا, ويبدو أن منطقة الكانوري وبحيرة تشاد كانت من القديم ملتقى امتزاج سكاني متنوع ولذلك نتج عن هذه الوضعية في معظم العصور حروب متوالية وقد دخلت مملكة الكانم بورنو فترة التوسع و القوة في أيام السلطان عبد الجليل سيما(1195–1220) الذي قام بفتوحات متوالية ابنه روناما الأول(1221–1259) فامتد نفوذه إلى كل من فزان ووداي .

وتمتاز المملكة عن بقية الممالك الإسلامية في غرب إفريقيا بالاستمرارية حتى نهاية القرن 19 م حينما احتلها الفرنسيون . كما تولى على حكمها أمراء اشتهروا بالعلم من أمثال محمد الأمين الكانمي وأبنائه الذين اتخذوا من مدينة كوكوا عاصمة لهم .

المحاضرة السادسة : تجارة الرقيق وانعكاساتها على مجتمعات إفريقيا جنوب الصحراء الكبرى (حصتان)

أجمعت البحوث والدراسات التاريخية على خطورة ظاهرة تجارة الرقيق ومفعولها في ترسيخ تأخر القارة الإفريقية، وإدماج اقتصادياتها ومجتمعاتها بالمنظومة الرأسمالية الامبريالية. كما شددت على دور النظم الاستعمارية في استكمال أسس الدول الإفريقية وتحديد توجهاتها المستقبلية.

وتقر المصادر التاريخية أن الفترة من منتصف القرن 15 إلى بداية القرن 16م، تعتبر مرحلة توسّع اقتصادي وسياسي وثقافي كبير في معظم البلدان الأوروبية ولاسيما دول غرب أوروبا وبالتحديد الدول الأيبيرية. وكانت هذه الفترة أيضا فترة توسع عبر البحار، حيث تمكنت البرتغال من السيطرة على قسم كبير من الساحل المغربي يمتد حتى أغادير وآسفي ورأس بوجدور جنوبا(استولوا على سبتة عام 1415)، في حين تمكن الأسبان من إنشاء قواعد عسكرية لهم في تلمسان ووهران.

وقد تسبب التوسع البرتغالي في الساحل الغربي لإفريقيا في انخفاض وتدني المبادلات التجارية بين السودان الغربي وشمال إفريقيا عبر الصحراء الكبرى، وحسب البحوث والدراسات الحديثة أن أهم الدوافع التي كانت وراء حملة أحمد المنصور إلى الاستيلاء على منعطف نهر النيجر(مملكة سنغاي) عام 1591 هي من اجل تامين طرق التجارة الممتدة من غرب إفريقياإلى بلدان المغرب ومصر عبر الصحراء الكبرى والتي تبعتها حملة جودار باشا الشهيرة(قائد عسكري مغرب من أصول ايبيرية موريسكية). وطوال القرن 15م والربع الأول من القرن 16م أنشأ البرتغاليون مراكز تجارية عديدة على الساحل الغربي لأفريقيا وأهمها قلعة المينا في ساحل الذهب(وصلوا الى الكونغو عام 1483). أما في الساحل الشرقي فقد استخدموا أساليب مختلفة، فقد حطموا تحصينات المدن الساحلية كسوفالا ومباسا ومدن ساحلية أخرى. وقد تأكد في ذلك الوقت أن سواحل غرب وشرق إفريقيا ستظل وقتا طويلا خاضعة لسيطرة البرتغال السياسية والاقتصادية.

وعلى كل حال، كان العامل الأول الذي اجتذب البرتغال إلى إفريقيا وسواحلها هو ذهبها الذي كان يصدر في السابق نحو بلدان المغرب العربي ومصر والخليج العربي. غير أنهم ما لبثوا أن اكتشفوا منتوجا إفريقياًآخريحضا باهتمام الإقطاعالأوروبي وهو العبيد، خاصة بعد أن منح البابا ألكسندر السادس البرتغال حقوقا خالصة للوسع الاقتصادي والسياسي جنوب شرقي المحيط الأطلسي، وأقصى اسبانيا المنافس القوي للبرتغال التي وجهت اهتمامها نحو أمريكا بعد اكتشافها وحوّل اهتمامها بالشؤون الإفريقية.

وان كان تقليد تصدير العبيد إلى البلدان العربية كان سائدا منذ زمن بعيد، في أجزاء كبيرة من القارة وخاصة في السودان.حيث كان الجانب الأكبر في أيدي التجار السودانيين(الجلابة) الذين كانوا يعملون كوسطاء ومموّلين لسوق الرقيق.

ويحرص الأفارقة على الاهتمام الكبير بظاهرة الاسترقاق في تاريخهم القومي، نظرا لما تحمله من حساسية كبيرة، لدرجة أن لفظة عبد أصبحت مرادفة للفظة إفريقي. ومنه نحاول أن نعطي وزنا كبيرا لهذه

الظاهرة وارتباطها بإيديولوجية التوسع الاستعماري، ويعتبر هذا سؤالا جوهريا وأساسيا ينبغي أن نواجهه ونتناوله من كافة جوانبه.

في البداية يجب أن نلفت الانتباه إلى انه لا تزال ثمة حاجة إلى قدر كبير من البحوث والدراسات للتوصل إلى نظرة أكثر وضوحا للظاهرة بأكملها، وذلك لاعتبار أن المصادر قليلة جدا ومقتصرة على المصادر الغربية ولاسيما البرتغالية.

وكان البرتغاليون أول الدول الأوروبية الذين شرعوا هذه التجارة، حيث بعد وصولهم إلى سواحل غانا عام 1471 وجدوا تجارة عبيد مزدهرة بين غانا وجيرانها في خليج البنين، وبقيت قرابة 100 عام على هذه السواحل واشتركت مع الأفارقة في هذه التجارة ، ذهابا من إلى السنغال ومن غانا إلى نيجيريا وبالعكس يتم إحضار العبيد ومقايضتهم بالسلع. قبل ان تبدأ تجارة العبيد العابرة للأطلسي. وقد أدرك البرتغاليون أيضا أن مثل هذه التجارة سوف تؤدي الى مزيد من الاقتتال بين الشعوب الافريقية نظرا لان أسرى الحرب سرعان ما أصبحوا المادة الرئيسية لهذه التجارة.

وقد صاغت البرتغال، التي سيطرت على هذه التجارة طوال القرنين 15 و16م عدة حجج لتبرير تجارة الرقيق. أهمها البلاغات التي أصدرتها البابوية ومباركتها للتوسع البرتغالي في إفريقيا واعتباره بمثابة حرب صليبية لنشر المسيحية.

وبناء على ذلك،أصبح ينظر إلى استرقاق المسيحيين للإفريقيين على انه في صالح الأهالي الوثنيين وفرصة لخلاصهم. وتحت هذه الدوافع الإيديولوجيةالمتعددة نشط التجار البرتغاليون في السينيغامبيا والجزء الشرقي من غرب إفريقيا، وعملوا على إثارة اهتمام الرؤساء والتجار المحليين بأهمية تجارة الرقيق.

وكانت في هذه الفترة السوق الرئيسية لهذه التجارة، تتمثل في أوروبا ولاسيما شبه الجزيرة الأيبيرية والى حد ما جزر المحيط الأطلسي(جزر الكناري وجزيرة سانت توماس) وكان الحافز على إدخال العبيد لهذه الجزر هو إدخال زراعة قصب السكر . وباختصار كان العبيد الذين يجلبون إلىأوروبا يستخدمون بصورة رئيسية كخدم في المنازل وبعض أعمال التعدين وتفريغ السفن بعيدين عن النشاط الزراعي. بالرغم من ان الاقتصاد الأوروبي كان قائما على الزراعة.

وتشير الإحصائيات التاريخية أن عدد العبيد الذين نقلوا من افريقيا الى أوروبابأكثر من 274 ألف وهذا بعد أن اصدر التاج البرتغالي آمره الشهير أسينتو دو نيغروس. باحتكار تجارة الرقيق جنوبي نهر السنغال. وهذه الأرقام تعطي صورة قياسية عن الفترة المبكرة عن تجارة الرقيق عبر الأطلسي. اي قبل التوسع الضخم للمزارع الكبرى الذي ستشهده أمريكا بعد اكتشافها وتنميتها اقتصاديا عن طريق البيض.

وكان الإفريقيون الأوائل في أمريكا هم أولئك الذين جلبهم الأسبان من أوروبا، بحيث كانوا عبيد أتي معظمهم من سينيغامبيا، وكانوا قد نقلوا الى أوروبا او ولدوا فيها. وكان يطلق عليهم اسم لادينوس. لأنهم

كانوا يتكلمون الاسبانية او البرتغاليةوتأثروا جزئيا بالحضارة الأيبيرية. وكانوا محل تقدير على عكس السود العبيد الذين جلبوا مباشرة من مواطنهم الأصلية وكانوا متأثرين بثقافة مختلفة تماما وكان يطلق عليهم اسم بوزاليس.

وهكذا يبدو أن الظروف أصبحت مواتية لزيادة تصدير السود من إفريقيا إلى أمريكا، وان كانت هذه التجارة مازلت لم تبلغ بالفعل مرحلة الازدهار الحقيقي إلا عند البدء في إنشاء المزارع الكبرى لقصب السكر والتبغ والقطن. بحيث سرعان ما تبين، سواء فيأمريكا الاسبانية وجزر الانتيل او في البرازيل، ان السكان المحليين من الهنود كانوا غير قادرين على تحمل العمل الشاق والمستمر في المزارع بحيث تعرض الكثير منهم للإبادة. في حين ان الإفريقيين اثبتوا أنهم عمال ممتازون متعودين على ظروف العمل والمناخ الاستوائي.

وبالرغم من وصول البرتغاليين وتوسعهم في الكونغو وغزوهم بعد ذلك لانغولا والذي اعقبه النمو السريع لتجارة الرقيق في جزيرة لواندا، فان وضعهم اخذ يتراجع، خصوصا بعد الهزائم الكبرى التي تعرضوا لها في السواحل المغربية على يد الأشراف السعديين.

وفي أواخر القرن 16 أصبح الفرنسيون والانجليز والهولنديون اكثر نشاطا من البرتغاليين، وكان التوسع الفرنسي على أشده في منطقة الرأسالأخضر والسنغال، بحيث أصبح وضعهم في سينيغامبيا قويا للغاية مع بداية القرن 17. ولم يكونوا حتى ذلك الوقت يعطون أهمية لتجارة الرقيق إذ كان أكثر ما يشترونه هو الذهب والعاج وزيت النخيل ويجلبون معهم المنسوجات من النورماندي والكحول من بريتاني والسلع المعدنية والأسلحة النارية، ويبدو أن هذه السلعة الأخيرة عززت وضع الفرنسيين كثيرا لأن التاج البرتغالي ظل لفترة طويلة متصلبا في حظر الأسلحة النارية الى إفريقيا في حين ان الحكام المحليين يتوقون بشدة للحصول على الأسلحة. وكان التوسع الانجليزي مشابها للتوسع الفرنسي، وأطلقت الشركات البريطانية يدها في خليج البنين بعد إقامة علاقات اقتصادية نشيطة مع المغرب عام 1541. ولكنهم لم يكونوا مهتمين، مثلهم مثل الفرنسيين لتجارة الرقيق. ووجدوا في نهب السفن البرتغالية والاسبانية في عرض المحيط الأطلسي أكثر ربحا من التجارة مع إفريقيا.

وفي عام 1617، بلغ وضع الهولنديين الوافدين الجدد في سينيغامبيا حدا من الرسوخ. وأزاحوا الوجود البرتغالي والفرنسي والانجليزي ولم يعترفوا آنذاك بالتقسيم الذي أجراه البابا للمحيط الأطلسي. ولم يكونوا مهتمين في البداية بتجارة الرقيق، لكن النصف الثاني من القرن 17 شهد مرحلة جديدة من التوسع الأوروبي في إفريقيا، تعاظم حينها شأن تجارة الرقيق التي أصبحت تمثل أهمية كبرى للهولنديين، الذين بدؤوا مرحلتهم هذهبمقايضة العبيد الذين يشترونهم من المينا وأكرا والغابون والكامرون بالسكر المكرر وجزء منهم ينقل إلى البرازيل القارية، ومن المنطقة المحيطة بمصب نهر السنغال كان الهولنديون يرسلون العبيد من الولوف الذين كما ذكر مبوكولو. أنهم يتمتعون بقوة جسدية كبيرة تؤهلهم للعمل في المزارع.

وطوال هذه الفترة لم تكن منطقة شرق إفريقيا على درجة كبيرة من الأهمية بالنسبة للأوروبيين.

وتقدر إحصائيات المصادر الأوروبية عدد العبيد الذين نقلوا إلى أمريكا خلال القرن 16 حوالي مليون و341 ألف. وبلغ ستتة ملايين في القرن 18 منهم ملونيين نقلوا إلى البرازيل ، وطوال الثلاثة قرون أي ما بين عامي 1500 و1880 نقل مابين 10 الى 12 مليون إفريقي الى الإقطاعيات الأمريكية. وهكذا تحولت إفريقيا التي كانت من قبل مصدرا للذهب إلى مستودع للأيدي العاملة.

وكان العامل الرئيسي في الزيادة الهائلة للطلب على الأيدي العاملة السوداء هو النمو السريع الذي شهدته مزارع قصب السكر، وكانت هذه العملية قد بدأت منذ القرن 15 في جزر المحيط الأطلسي والبرازيل.

كما طرأت زيادة ضخمة على الواردات من العبيد إلى الإقطاعيات الانجليزية والفرنسية، خاصة بعد توسع المزارع الكبرى لقصب السكر والتبغ. وبعد ذلك أدى نمو مزارع القطن في القرن 19 إلى تحويل الأقاليم الجنوبية من الولايات المتحدة الأمريكيةإلى منطقة شاسعة يعتمد اقتصادها على وجود العبيد.

وفي القرن 17م قامت هولندا وانجلترا، وبعدها فرنسا بإنشاء شركات للمتاجرة مع إفريقيا ولنقل العبيد إلىأمريكا، وقد حصلت الشركات من حكوماتها على حقوق احتكارية للمتاجرة مع إفريقيا. وكان أهمها الشركة الإفريقية الملكية التي تأسست سنة 1672 وكان لملك انجلترا تشارلز الثاني حصة فيها. وفي مقابل ذلك، كانت هذه الشركات ملزمة ببناء حصون جديدة لحماية المحطات التجارية الأوروبية على السواحل وعلى ذلك فقد تدعم مركز الأوروبيين في إفريقيا بفضل الشركات التجارية.وابتداء من أواخر هذا القرن تزايد نفوذ انجلترا وفرنسا فيما يخص طبيعة ومعدل توسع البيض في إفريقيا، في حين تضائل دور الهولنديين، أما البرتغال فقد أتيح لها مع التقدم الذي أحرزته في أنغولا الاحتفاظ بمنطقة تجارة الرقيق.

وكانت ملكية المحطات التجارية تنتقل بصورة متكررة فيما بين المجموعات المتنافسة التي كانت كل منها تلقى الدعم من حكوماتها. وفي أثناء ذلك كان ملاك هذه الشركات في خلاف فيما بينهم وكانوا يكافحون من اجل الحصول على انسب المحطات التجارية على الساحل الافريقي.

وكانت انجلترا أقوى الدول في هذا المجال، بحيث ظل تجار ليفربول طوال قرابة نصف قرن يشكلون المركز الرئيسي لما كان يعرف آنذاك باسم التجارة الثلاثية، بحيث كانوا يرسلون سفنهم محملة بسلع انجليزية الى الساحل الإفريقي حيث بها العبيد الذين يجرى نقلهم إلى أمريكا ليباعو هناك لأصحاب المزارع في المستعمرات الانجليزية والاسبانية والبرتغالية ثم تعود تلك السفن الى انجلترا محملة بسلع من انتاج تلك المستعمرات.

وخلال القرن 18م أصبحت انجلترا بفضل تطورها الصناعي، الدولة التي تقوم بأكبر نشاط اقتصادي على الساحل الإفريقي. حيث كان نفوذها ملموسا في المنطقة الممتدة من السنغال الى حدود الكامرون،

وكانت لتجارة في خليج بيافرا ورأس البنين، تتسم بأهمية بالغة، اذ ان عدد العبيد الذين نقلوا من تلك المناطق خلال القرن 18 تجاوز الملونين.

وطوال القرن 18 ظلّ التوسع الأوروبي محتفظا بطابعه التجاري القائم بالدرجة الأولى على تجارة الرقيق باستثناء محاولة استيطان ضيقة في انغولا من طرف البرتغال. وفي اغلب الأحيان كان الحكام الإفريقيون يحتفظون لأنفسهم بالأولوية في المتاجرة مع الأوروبيين.

ومن الصعب تقدير النطاق الإقليمي لتجارة الرقيق في غرب إفريقيا. وعلى عكس ما تشير اليه بعض البحوث الأوروبية من أن التأثير المدمّر لهذه التجارة اقتصر على المناطق الساحلية دون غيرها. فهناك روايات افريقية يرجع تاريخها الى القرنين 16 و17 تتحدث عن المسافات الطويلة التي كان العبيد يقطعونها من مواطنهم الأصلية الى الموانئ. وخلال مرحلة التصدير المكثف للعبيد في القرن 18. كان يتعين على مطاردي العبيد أن يتوغلوا في المناطق الداخلية للوصول إلى مورّديهم الأصليين، مثل ملوك الأشانتي والداهومي.

وفي ذلك الوقت لم يكن الأوروبيين مهتمين بالتوسع الإقليمي في إفريقيا، وكانوا يحصلون على العبيد عن طريق محطاتهم التجارية، كما أن الدول الأوروبية لم تكن مهيأة لغزو إفريقيا عسكريا، ويرجع السبب في ذلك إلى قساوة المناخ وعجز الأوروبيين عن مواجهة الأمراض والاستوائية.

ولهذا كان الأوروبيون يتعاملون بسخاء مع مورّدي العبيد الإفريقيين وكان اهتمامهم مركزا بوجه الخصوص على الساحل الغربي لإفريقيا، أما على الساحل الشرقي فقد كانت تجارة الرقيق قليلة نظرا للبعد الشاسع عن الأسواق الأمريكية.

وقد مهد هذا التوسّع التجاري الأوروبي في إفريقيا الذي كان قائما أساسا على تجارة الرقيق للاستعمار الامبريالي والغزو العسكري الذي ستشهده القارة في الربع الأخير من القرن 19 وحتى عام 1914. كما أن هذا التبادل التجاري بين الطرفين كان غير متكافئ ، ففي مقابل السلع الأوروبية الرخيصة كان يتم نقل أعداد هائلة من العمال العبيد، مما ألحق ضررا كبيرا بالوضع الديمغرافي للقارة، فضلا عن معاناة أعداد كبيرة من البشر الذين اختطفوا وابعدوا إلى بلاد غريبة وراء البحار للقيام بالأعمال الشاقة في المزارع الكبرى.

-آثار تجارة الرقيق:

-الآثار السوسيو- إقتصادية:

-شهدت القارة السمراء عملية استنزاف خطيرة لسكانها مما أدى إلى إفراغها من خيرة أبنائها حيث تم نقل مالا يقل عن 80 مليون شخص خارج القارة السمراء.

-تفكك وحدة الأسرة الإفريقية بحيث ركز الإمبرياليون على الشباب ، مما أدى إلى القضاء على قبائل برمتها

–نقص اليد العاملة في إفريقيا مما أدى إلى انخفاض الإنتاج الزراعي وبقاء موارد القارة السمراء دون استغلال .

–اختفاء الحرف والمهن التي كانت تشتهر بها الكثير من القبائل الإفريقية.

تحرير تجارة الرقيق:

مع نهاية القرن 18 م وبداية القرن 19 م ، بدأت على مستوى أوربا وأمريكا تصريحات تمنع المتاجرة بالرقيق . ففي عام 1772 م ، أصدر اللورد مانسفيلد قاضي محكمة بريطانيا العليا حكما يقضي بتحرير كل العبيد في بريطانيا . وحضي هذت الحكم بدعم من مجلس العموم البريطاني الذي اصدر مرسوما عام 1807 نص على إلغاء تجارة الرقيق في جميع أراضي الإمبراطورية . أما بفرنسا ، تقرر منع المتاجرة بالرقيق بموجب المرسوم الصادر في 8 مارس سنة 1815 م من طرف نابليون الأول .

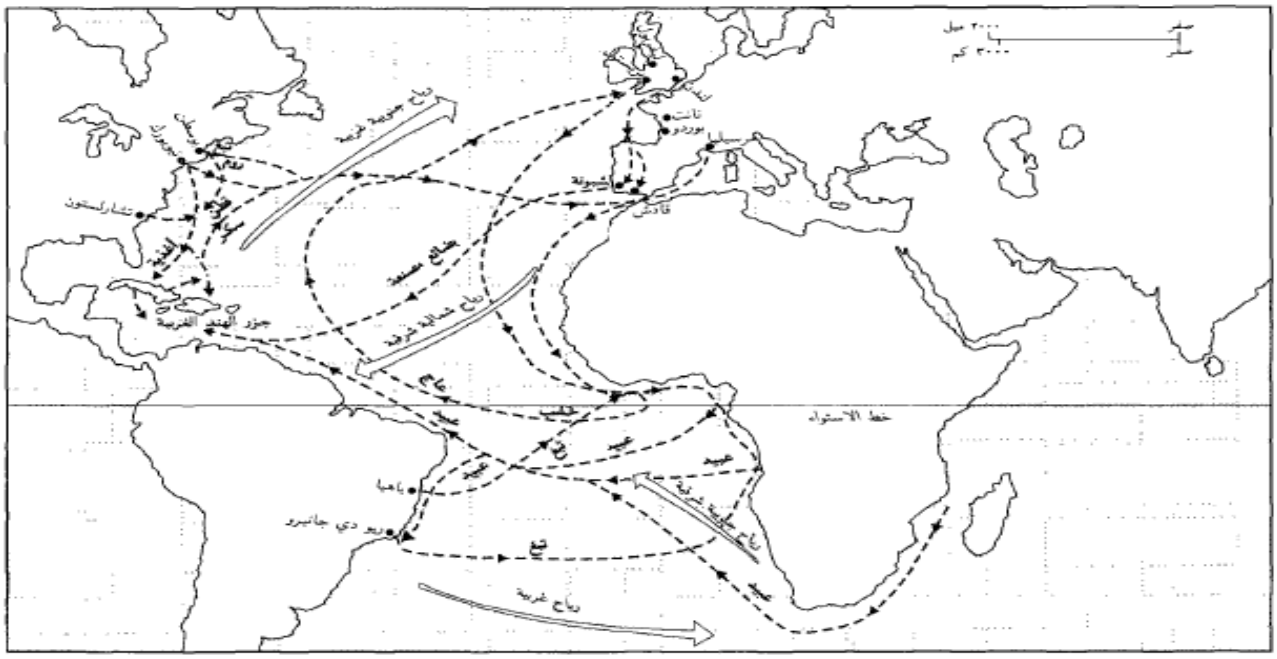

التجارة المثلثية عبر المحيط الأطلسي مع نهاية القرن 18م وبداية القرن 19م

عبيد يشحنون على متن سفينة أوروبية لنقل العبيد